## أسماء أحمد

موت الكلمات

كنت مُمَدة على أريكة موضوعة في غرفتي الصغيرة في زاوية بالقرب من نافذه تُطل على البوسفور، عندما حادثني بعد طول غياب وقد تمزق قلبي من شِدة اللوعة والشوق، كان غيابه لمدة شهر كامل بمثابة الصاعقة التي أصابتني في الصميم ولم أَكد أفيق منها إلا على اتصاله المنشود هذا، حادثني برقته وحنانه المعهودين وكنت أذوب كالسُكر حتى أتلاشى في سمائه..

أخذت أنظر إلى السماء وهو يحادثني بشجن لم أعهده من قبل، كل شيء مُتفرد الليلة، بدا لي كُل شيء في حُلةٍ جديدة يكسوها رونق الحب الذي فاض منا لينال من كل ما هو حولنا، حتى السماء بدت مكسوة ببريق ساحر والنجوم تتلألأ فيها كأنها حباتُ ماسٍ سقطت من طرف عُقد لطالما ارتديته في خيالي وهو يحدثني عنه.. أخذنا نتبادل أطراف الحديث برقة ونعومة، كان يحدثني عن أحداث سفره المفاجئ الذي استمر شهرا كاملا، ويبرر لي عدم اتصاله لأسباب أمنية تَحذُر استخدام الهاتف المحمول في تلك المنطقة.. تَفهمت الوضع ولم أعاتبه أبدًا لا بقلبي ولا لساني، كان يكفيني فقط أن أستمع إلى صوته الندي وأملأ روحي التي تعطشت لسماعه طوال هذه الفترة، أخذ يقص عليّ أحداثه ومواقفه، وأنا حالمة سابحة بخيالي إلى أبعد حد..

سَلّم عليّ وتَعذر بإرهاقه الشديد جراء السفر، وتواعدنا أن نتحادث حينما يفيق من سباته، أغلقت الهاتف ولا زلت سابحة في ذلك العالم الذي نَسَجته لي كلماته العذبة الرقراقة تلك..

أغمضت عيني ورأيتني وأنا أطير، كُنت أُحلق في سمائنا بكبرياء وجموح، كان جناحاي كبيرين للغاية ليس لهما شبيه على الإطلاق، أخذت أحلق كمهرة مشدوهة تعلو فوق السحاب بخفة ورشاقة حتى لامس جناحاي تلك الماسات المتلألئة في سمائنا.

التقطت إحداها وأخذت أتحسسها برفق كي لا أخدشها فينطفئ بريقها قبل أن أُمتع عيني وقلبي برونقها الأخاذ.. نظرت إليها حائرة أتساءل.. كيف لهذه الجوهرة الصغيرة أن تخرج كل هذا البريق؟!!

من أين لها هذا؟!!

قَرَرت أن أصطحبها معي إلى حيث أتيت، لأرقُبها وأكتشف عنها المزيد، وحالما وصلت غرفتي، اصطدمت يدي التي تحملها بحائط زجاجي لم أنتبه إليه وأنا في هذه النشوة، فسقطت ماستي وتجزأت إلى ٥٠ جزءًا أو يزيد، وصحوت من حلمي ودمعة حائرة تتوسط خدي وتأبى التتابع..

في صباح اليوم التالي حادثني مراد بعذوبة ورقة، أنستني ما رأيته في منامي وأقسمت ليلة أمس أن أقصه عليه في أول اتصال لنا.

قال لي: ما رأيك يا حلوتي أن نخرج لنختلس بِضع خطوات على الشاطئ، ذلك الشاطئ الذي سرنا بِجواره ليلة أفصحت لك عما كنت أضمره في قلبي لسنوات خوفا من أن أخسرك..

هل تذكرته؟!!

قلت في وله: وهل لي أن أنسى؟ ذلك المكان الذي تجلت فيه قلوبنا ودبت فيها الروح لأول مرة، وكأنا خلقنا من جديد..

كانت حبات الرِمال تتخلل أصابعي وأنا أسير ببطء شديد، مُعلقة ذراعي اليمنى ما بين مِرفقه وأطراف أصابعه اليسرى، وكأني عروس تُزف إلى قدرها الجميل،

نظر إليّ وابتسم ملء شدقيه وقال: لا عليك حبيبتي، ستسير الأمور أفضل مما نتمنى.

قُلت وأنا أتشبث بذراعيه القويتين وعيناي تتوجهان صوب حدقتيه في خوف: وإن لم يوافق والداك على تزويجنا، هل ستتخلى عني؟

توقف مراد عن المسير فجأة ممسكا ذراعي بقوة حتى كادت أصابعه تغوص ما بين جلدي وعظمي، نظرت إليه متوسلة أن يترك ذراعي، وقد انتفخت أوداجه من شدة الغضب: وهل تعتقدين أنني سأتخلى عنك يوما يا جمان؟ أنا لا أقوى على فِراقك يوما، فكيف تظنين أنني سأتمكن من فراقك دهرا؟!!!

قلت له: مراد، ولكنك تعلم أنني يتيمة وقد ترعرعت في دار للأيتام، وأنت من عائلة مرموقة و...

مال برأسه مسرعًا ناحية اليمين والتفت ذراعاه حول خصري تجذبني نحوه برقة فتحاذت شِفاهنا، حتى أصبحنا على شفا قُبلة.. وأعلن العشق موت الكلمات.